

لبنان بين واقع مرير وحلم منير

بقلم الصحافي يوسف أمين

بيروت - لبنان:

عندما سمعنا منذ أكثر من أسبوعين خطاب السيد نصر الله في يوم القدس بالنيابية، أمام ذلك الحشد من قوات الانتحار "في سبيل الله"، ونحن كنا نعتقد أن الله قال لنبيه موسى، عليه السلام، في أول الوصايا: "لا تقتل"، وتوقف عندها، وأنه لم يغير رأيه في قرآن محمد، صلى الله عليه وسلم، إذ قال: "ومن قتل نفسا بغير ذنب كأنما قتل الناس أجمعين"، ولو أن قرآن محمد زاد على وصايا موسى كلمة "بغير ذنب"، إلا أن الجوهر يبقى نفسه، بأن القتل والله لا يجتمعان أبدا في أي دين كان. قلنا عندما سمعنا السيد نصر الله "أمير جيوش الله" المشتاقا لفقائه بقتل نفسها ومن وقف بالدرب، استعذنا بالله من أن الساعة قد قربت، وأن "التدجيل" الذي تكلم عنه كل أنبياء الله وحذروا منه، ها هو يمثل أمامنا. صرخات الدم، ولعنات الناس الذين يختلفون عنا، وشحن السيوف والفؤوس والخناجر، كلها مظاهر شيطانية لا يمكن أن تسير متوازية مع دعوات المصلين لرب "رحمان رحيم"، له وحده أن يحاكم الناس أجمعين، وهو العليم بما تحمل النفوس في داخلها، فكيف به لا يعرف ما تفعله بالعلن؟ يوم وقف السيد نصر الله خطيبا بعشرة آلاف من قواته الانتحارية يدعو لنصرة القدس، كان يحاكي الناس من علياه، وكأنه وحده يحل ويحرم، "فلا مدنيون في إسرائيل"، كلمة ظاهرها وباطنها وكيفما قلبناها لا يمكن أن تهضم، وقد شدد السيد على مسؤوليته عما يقول، وكررها أن لا مدنيون في إسرائيل. وإذا بنا نتذكر كيف فعل بأبناء قانا وكيف فعل بكل أبناء الجنوب مرات عدة، كررها، وكان ثمنها أن لا مدنيون في لبنان، وكان ثمنها أن سقط أكثر من مئة قتيل في مركز الأمم المتحدة كي لا يبعد صواريخه عن تجمع الناس، وكان هذا مطلبه، وقد لبي له ذلك المطلب من هم مثله. واليوم إذ يقول لا مدنيون في إسرائيل فإنه يدعو شارون بالتأكيد ليقول الشيء نفسه، مع أنني لا أعتقد بأن شارون قادر على أن يقتل بنفس السهولة التي يأمر بها السيد نصر الله.

خاطب السيد بصوته الهادر كموج البحر، آلاف المغرر بهم، المعتقدين أن الله سبحانه قد أوكل مصيرهم لمثل هؤلاء المأجورين، الذين لا يهمهم شعوبهم، ولا قيم أهلهم، ولا تسقط لهم دمة لفقد عزيز، لأنهم، كما قال مصطفى جحا (رحمه الله، وهم قد قتلوه)، لم يعرفوا الحب في بيوتهم، ولم يعرفوا سوى الحقد زادا ومنهلا، وها هم يوزعونه كيفما توجهوا وأيضا ارتحلوا...

في خطاب السيد ملاحظات كثيرة، وهو الذي قال بأنه مسؤول عن كلامه، ها هو ينسحب من المسؤولية ويسحب كلامه، فتحاول "المنار" أن تحذف من الخطاب المقاطع التي ترى فيها تهجما وتشجيعا على الإرهاب، ثم عندما لا تقدر أن تغطي ما قد نشرته الصحف، تسحب الخطاب بأكمله من التداول. وهنا نحسب أن نقول لهؤلاء، ألا تخلجون من أنفسكم ومن هذه الجموع التي وقفت أمامكم معتقدة بأنها أمام ممثل الله على الأرض، وهي قد سمعت كل كلمة تفوه بها السيد نصر الله، وهو قالها، أن الأميركان يقولون له تخلى عن الإرهاب نعفي عنك، ولكنه لم يرد يومها، فماذا جرى لكي يسحب كلامه؟ هل لأن الأسد، سيد الكل، يقوم بزيارة لبريطانيا ولا يريد أن يسأل عن تلك الدعوات؟ أم أن السيد عندما وقفت كندا الموقف الصحيح رأى بأنه قد خسر، بالفططة، أكثر مما قد يربح من تحميس الفتیان، ودفعهم بالحقد الذي يعينهم به للإنتحار والموت وقتل الأبرياء، كي يستمر هو

وشلته بقبض الثمن من أسيادهم في طهران . فهو وبكل وضوح بايع بصوت كل الحشود الحاضرة، الإمام الخامنائي، فهل يقبل كل اللبنانيون هذه المبايعة ؟ وهذا الاحتلال الفارسي الذي طرد من ألفين وثلاثمائة سنة من شواطئ المتوسط وظل يحلم بالعودة ...؟

غريب أمر الناس، وصعب وضع اللبنانيين المقهورين في بيوتهم، وقد تحكم بهم شلة من المجرمين والقتلة، وهم يتحكمون شيئاً فشيئاً بكل بلاد العرب والمسلمين، وكأن الساحات فرغت من أسيادها، والصحف غابت عنها الأرقام، والمنابر خلت إلا من الرعاع وعصابات القرون الغابرة، التي لم تعرف الله بعد، وهي لا تزال تعيش قاتون الغاب.

اليوم وفي زمن الميلاد، حيث ينشد الملائكة من السماء: "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام والرجاء الصالح لبني البشر"، نتساءل هل إن هذا الزمن لا يزال صالحاً لمثل هذه الأناشيد؟ أم أن الملائكة سيضطرون لحمل السيوف والمدافع، لأن الخير قد عطلته أفواج الحاقدين، الذين لا يعرفون ولا يعترفون بغير القوة والقهر طرماً للتعامل بين البشر، وكأنما لا رجاء صالحاً للبشر في زمن كثر فيه المتطفلون والمتهجمون على السلام وأصحابه، وقتل فيه كل برعم لفكرة تدعو لتلاقي الناس، بتنوعهم، واختلاف مذاهبهم، ومشاربهم، توحدهم السماء بفكرة الخير والمحبة، ورجاء برب قادر وحكيم، حلیم ومحب، يعرف القلوب ويقرأ النوايا، وهو الذي يتوكل بالشيطان وأعوانه كيفما كان تلونهم وأسلحتهم وأساليبهم. رجائنا أن يرفع الله عن لبنان والعالم تحكم الحاقدين ومصادرتهم لاسمه تعالى.

وأملنا أن يسود حلم جديد، بفجر سلام آت، تلاقي به الأرض السماء، وتنزع الأردية المسودة والقلوب المنغلقة، وتخلص الناس من شرور التخلف والتذمت، وتعيد الصفاء والمودة، وينبت فجر ألوانه براءة منيرة، تعبق بأريج السماء وعطر الخير ودفق المحبة.

بيروت في ٢٠٠٢/١٢/١٨